[إعادة نشر / من لقاء شبكة الحسبة مع الشيخ عطية الله، سنة 2006م]

فائـدة وتأمـل :

إن المآسي التي يواجهها المسلمون اليوم في العراق وسيواجهونها فيه وفي غيره، هي ضريبة لابد –بحسب سنة الله تعالى- أن يدفعوها ثمناً لسكوتهم الطويل عقوداً وربما قروناً على المنكر والفساد وتركهم للجهاد وابتعادهم عن دين الله تعالى..!!!

أوَيظن مسلمٌ يعرفُ دينه ويعرف سنة الله أن ذلك يمكن أن يمرّ بدون جزاء أويمشي سدىً؟!

وهكذا كل الشعوب والأمم التي تغرق في الفساد والركون إلى الظالمين والسكوت عليهم والدخول تحت حكمهم ولا تقاومهم ولا تقوم بواجب الخروج عليهم وتغييرهم وجهادهم، وتنتشر فيها المنكرات وتظهر فيها الموبقات العظيمات، ويموت فيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويدعو داعي الجهاد فيها فتصدّه وتصدّ عنه، وتزدريه وتقف في صف الطاغوت عليه، وتخلد إلى الراحة في المجون واتباع الأهواء وإشباع الرغبات الجري وراء الشهوات...!

سيأتيها يومٌ تدفع فيه ضريبة كل ذلك.

إن لم يكن هذا الجيل، فالجيل الذي بعده أو الأجيال التي بعده.

لا محالة..! بغضّ النظر عن كون ما يصيبهم بحق أو بباطل، فنحن لا نتكلم عن ذلك هنا.

لكن سيصيبهم جزاء أعمالهم تلك بدون شك.

{مَن يعمل سوءاً يجزَ به}

الحروب والحرمان والمآسي والدماء والأشلاء والانتهاكات والتعذيب والقهر والفوضى وجميع الآلام، منهم من يصيبه ويكون رابحاً في النهاية؛ يكفّر الله عنه ذنوبه ويؤول إلى الفوز في الجنة

ويتخذ الله منهم شهداء وشفعاء، ومنهم من يصيبه نصيبه ويكون خاسرا ويلقى في الآخرة العذاب الأليم.!!

انظروا إلى بلد مثل ليبيا..

طاغوت ملعون ينازع الله في صفاته ويكفر به كفراً من أوضح ما يكون، يسوم الناس ألوان الذلة والمهانة، صورة من مسيلمة الكذاب لعنه الله، يستهزئ بالدين وبالرسول ويحارب الدين وأهل الدين جهرة، يفسّـق الناس ويكفّــرهم (يجعلهم كفاراً بدعوته وفتنته) وينشر فيهم الفاحشة وأنواع الفساد والضلال والكفر، ويستمر في حكمه لهذه البلاد وهؤلاء العباد سبعة وثلاثين عاماً، ومعظم الشعب؛ ملايين من الناس، ساكتون عليه، تاركون له، كأن الأمر لا يعنيهم، وكأن الله لم يكلّفهم به، وكأنهم لم يخلقوا للابتلاء بالتكاليف، بل كأنهم مخلوقون كالأنعام لا تكليف ولا حساب ولا عقاب، وكأن الجهاد لم يفرض عليهم، وكأن دين الله تعالى ومحارمه عز وجل لا تعنيهم ولا تهمّهم، والأنكى من ذلك أنه عندما يقوم على هذا الطاغوت طائفة من شباب ورجال هذا الشعب ممن أحيى الله قلوبهم ونوّر بصائرهم وآتاهم تقواهم ؛ يجاهدونه وينكرون عليه ويسعون في إزالته، ماذا يكون موقف الشعب؟

موقف سلبي للغاية، أحسنهم وأمثلهم طريقة الساكت التارك الذي كأنه لم يرَ ولم يسمعْ، المبتعد النائي بنفسه، الطالبُ للسلامة، وأي سلامة؟!!

وكثيرٌ منهم المسارعون في إرضاء الطاغوت والوقوف معه، والمبادرون طواعية واختياراً لمساندته لكي تسلَم لهم دنياهم ويدفعوا عن أنفسهم التهمة أو ينالوا عنده الحظوة...!!

هل يظنون أن هذا سيمرّ بدون جزاء في الدنيا قبل الآخرة لمن لم يتب ويصلح؟!

لا والله.. معاذَ الله..!

سيصيبهم جزاؤهم جميعا، إن لم يكونوا هم فأولادهم من بعدهم إن استمروا على ما عليه أباؤهم.

سيصيبهم بحق أو بباطل.

وسيظلون يبكون ويصرخون وويولولون، وأكثرهم عن أسباب ذلك غافلون.

{وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ}يوسف 105

{حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ} المؤمنون 64، 65

سيصيبهم جزاؤهم..

حروبٌ ومآسٍ ودمارٌ وخرابٌ وفقد وحرمانٌ، وعصابات ونزاعات وفوضى وإجرام ومذابح ومجازر ودماء وأشلاء وفظائع، وأيضا سكّين الزرقاوي ومحشوشات المجاهدين وتفجيرات الاستشهاديين وكل شيء...!

الله أعلم أيُ ذلك؟ كله أو بعضه؟ وقلنا : بحق أو بباطل..!

فتفاصيل تلك الجزاءات وكونها واقعة بحق أو بباطل هذا لا نتكلم عنه الآن، هذا فيه وفيه، وله تفاصيله، تعرف بفقه الشرع، لكن نحن نتكلم عن أن الجزاء لابد منه على ذلك السكوت على الباطل وترك الجهاد وترك دين الله.

وسيكون هناك فائزون وخاسرون.

ما في ذلك شك.

وانتظروا إنا منتظرون.

والعاقبة للتقوى.

وهكذا أهل العراق مع صدام وحكمه وما قبله أيضا.

وهكذا كل أهل بلدةٍ لا فرقَ.

قال ربنا عز وجل : {أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَآئِمُونَ{97} أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ{98} أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ

الْخَاسِرُونَ{99} أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاء أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ{ 100}الأعراف

وقال : {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ}هود 102

وقال : {وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدا ً}الكهف 59

وقال : {وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً }الإسراء 16

والآيات في هذا المعنى كثيرة.وقال تعالى : {وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَاب ِ}الأنفال 25

وقال : {فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ }الأعراف 165

ومن الأحاديث : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يا معشر المهاجرين، خمس خصال إذا ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن : لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطرَ من السماء ولولا البهائمُ لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم".رواه ابن ماجه والبيهقي والحاكم والطبراني وغيرهم.

والحديث حسنٌ بطرقه وشواهده، وحسنه وصححه الشيخ الألباني.

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

وبالجملة فهذا معنىً متقرر في الكتاب والسنة.

ولا يَرد عليه ما ثبت في الصحيح أن الله أعطى نبيّه محمداً صلى الله عليه وسلم أن لا يعذبَ أمته بسنةٍ عامة.

لأن ذلك في حق الأمة كلها، وهو العذاب العامّ المستأصل لهم كالذي أهلك الله به الأمم السابقة المكذبة العاصية.

وما نحن بصدده هو في حق أجزائها وأبعاضها.والله أعلم.
نسأل الله تعالى أن يلطف بنا ويعفوَ عنا ويرحمنا برحمته ويسترنا بستره الجميل.. آمين